

مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

اليوم، كما يذهب إليه البعض. أن تكون مسيحياً يفترض، في كل زمن، أن تسلك «سلوكاً لائقاً»، وذلك بصرف النظر عن مغريات الحياة الخاصة بكل عصر من العصور. بحسب الرسول بولس لا مجال، من وجهة نظر مسيحية، للفصل بين الإيمان والسيرة. فسيرة من اعتمد على اسم الرب يسوع إنما تدل على مدى صدقية إيمانه، أي على مدى جدية في تلقف هذا الخلاص الذي منح له نعمة في

المعمودية. لذا، المسيحي مدعو، في كل لحظة، إلى أن يأتي سلوكه منسجماً مع إيمانه بيسوع، أي ألا يكون هناك تناقض، مهما صغر، بين ما يفكر ويحس

به وما يقوله ويفعله. هذا، طبعاً، لم يتحقق على نحو كلي إلا في المسيح يسوع الذي لم تشهد حياته الأرضية شرخاً بين الفكر والحس والقول والسلوك. بيد أن المسيحي مطالب بالاعتداء بسيده. وليس قول بولس «اقتدوا بي كما أنا اقتدي بالمسيح» إلا ترجمة لآلية الاقتداء هذه المنطلقة من يسوع إلى المسيحيين مروراً بالرسول الذي يدين له المسيحيون بإيمانهم.

السلوك بمقتضى هذا الإيمان يفصح عن ذاته خصوصاً عبر المحبة والتواصل والتعاقد بين الإخوة رغم

حول الرسالة

يُتلى على مسامعنا في هذا الأحد، وهو المعروف بحسب الترتيب الليتورجي بأحد الغفران أو أحد مرفع الجبن، مقطع ذو طابع سلوكي، مستمد من الرسالة إلى أهل رومية. والمعروف أن الرسول بولس، على وجه العموم، كان يستهل رسائله بقسم لاهوتي يشرح فيه ما يريد أن يبلغه إلى المؤمنين على صعيد الإيمان، منتقلاً،

إثر ذلك، إلى مجموعة من النصائح السلوكية المتعلقة بكيفية ترجمة هذا الإيمان على مستوى الحياة اليومية. والأكد أن الرسول كان

يستند في هذا القسم السلوكي إلى ما كان يتناهى إليه من أخبار الكنائس التي أسسها وما فيها من مشاكل وحساسيات بين الإخوة. إن مثل هذه المقاطع السلوكية الطابع يحمل تعزية كبرى لنا نحن مؤمني اليوم، إذ يظهر أن الحياة في الكنائس الأولى لم تكن خالية من الشوائب. فالمشاكل بين المسيحيين هي إياها في كل عصر: اللهو والعهر والخصام والحسد. ما وجه هذه التعزية؟ إنه يقوم في أن عيش الحياة المسيحية لم يكن بالأمس أسهل مما هو عليه

الرسالة

(رومية ١٣: ١١-١٤)

(١: ١٤-٤)

يا إخوة إن خلاصنا الآن أقرب مما كان حين آمننا* قد تناهى الليل واقترب النهار فلندع عنا أعمال الظلمة ونلبس أسلحة النور* لنسلكن سلوكاً لائقاً كما في النهار لا بالقصوف والسكر ولا بالمضاجع والعهر ولا بالخصام والحسد بل البسوا الرب يسوع المسيح ولا تهتموا بأجسادكم لقضاء شهواتها* من كان ضعيفاً في الإيمان فاتخذوه بغير مباحة في الآراء* من الناس من يعتقد أن له أن يأكل كل شيء. أما الضعيف فيأكل بقولاً* فلا يزدري الذي يأكل من لا يأكل ولا يدين الذي لا يأكل من يأكل فإن الله قد اتخذه* من أنت يا من تدين عبداً أجنبياً. إنه ليمولاه يثبث أو يسقط. لكنه سيثبث لأن الله قادر على أن يثبتته.

العدد ١١/٢٠٠٥
الأحد ١٣ آذار
أحد مرفع الجبن
تذكار نقل عظام أبينا الجليل
في القديسين نيكيفورس
رئيس أساقفة القسطنطينية
اللحن الثامن
إنجيل السحر الثامن

الإنجيل

(متى ٦: ١٤-٢١)

قال الربُّ إنْ غَفَرْتُمْ للناسِ زَلَّاتِهِمْ يَغْفِرْ لَكُمْ أبوكم السماوي أيضاً* وإن لم تغفروا للناس زلاتهم فأبوكم أيضاً لا يغفر لكم زلاتكم* ومتى صُمتم فلا تكونوا مُعْبِثِينَ كالمراءين. فإنهم يَنكُرون وجوههم ليظهروا للناس صائمين. الحقُّ أقولُ لكم إنهم قد أخذوا أجرهم* أما أنت فأذا صُمتَ فادهنْ رأسَكَ واغسلْ وجهك لئلا تظهر للناس صائماً بل لأبيك الذي في الخفية. وأبوك الذي يرى في الخفية يُجازيكَ علانية* لا تكبزوكم كمنوزاً على الأرض حيث يُفسدُ السوسُ والأكلةُ وَيَنقُبُ السارقون ويسرقون* لكن اكبزوكم كمنوزاً في السماء حيث لا يُفسدُ سوسٌ ولا أكلةٌ ولا يَنقُبُ السارقون ولا يسرقون* لأنه حيث تكون كمنوزكم هناك تكون قلوبكم.

تأمل

بعض المناطق البحرية تأوي كلاباً بحرية متوحشة. وكل من يبحر بمحاذاة تلك الأماكن يعلق أجراساً على جوانب البواخر

ما يعترى حياتهم اليومية من اختلافات. هذا يتضح، بشكل جلي، في المثل الذي يضره بولس في هذا المقطع والمختص بأكل اللحم أو عدمه. الأرجح أن كنيسة رومية كانت تضم إلى جانب المسيحيين ذوي الأصول الوثنية عدداً لا يستهان به من المؤمنين الآتين من اليهودية والذين كان بعضهم لا يزال متمسكاً ببعض الترتيبات اليهودية في ما يختص بأكل اللحم. أكل اللحم أو عدمه، في رأي بولس، مسألة تفصيلية لأن الإيمان بالمسيح الذي انخرط فيه المؤمنون بفضل معموديتهم يحررهم من النواميس اليهودية كافة، ولا سيما تلك المتعلقة بالختان والمأكل والمشرب والطاهر والنجس. فإذا قرّر أحدهم رغم معموديته، أن يلتصق ببعض العادات اليهودية، فذلك ليس بمشكلة طالما أنه حرّ داخلياً من ضغط هذه العادات. كما أن من قرّر التغاضي عن مثل هذه النواميس والعادات لا غضن في سلوكه لكونه يسلك خارجياً، أي في المأكل والمشرب، على نحو ينسجم مع الحرية المعطاة له بالمسيح. المسألة، كل المسألة، في نظر بولس ليست الأكل في ذاته، بل الموقف المتسامح من الآخر الذي يسلك بطريقة مختلفة: «فلا يزدِر الذي يأكل من لا يأكل ولا يدين الذي لا يأكل من يأكل». المحبة الأخوية، إذاً، هي بيت القصيد، لكونها، وحدها، لا الأكل والشرب، معيار الحياة الجديدة في المسيح التي منحناها في المعمودية. وتالياً، التعبير الحقيقي عن الحرية ليس أكل اللحم أو عدمه، بل موقف لا يحتقر الآخر ولا يلقي به في الجحيم، وذلك بصرف النظر عما يأكل ويشرب ويلبس. إن الموقف المتشجج من الآخر والذي يفتقر إلى المحبة يتناقض تماماً والخلاص الذي

حققه يسوع بموته وقيامته. فصليب يسوع كان يهدف إلى مصالحة البشر مع الله، وتالياً إلى مصالحتهم مع بعضهم البعض وجعلهم عائلة الله الواحدة. فإذا كان الله، عبر موت ابنه، قد اقتبل البشر و«أخذهم»، كيف يسمح الإنسان لنفسه أن يلقي بذور شقاق مع من صار «أخاه» فعلياً في مياه المعمودية، وذلك بالاستناد إلى مسألة شكلية هي أكل اللحم أو عدمه؟

عشية الصوم الكبير يزودنا هذا النص، إذا، بطاقة عظيمة على اكتناه معنى الصوم ومرماه. بالارتكاز على هذا المقطع، يمكن القول إن الأهم في الصوم ليس الأكل والشرب، بل محبة القريب والالتصاق به وغض الطرف عن أخطائه وهفواته. الصوم مناسبة نتدرب فيها على عيش الوحدة الحقيقية مع الإخوة، الصائرة عبر المحبة. أما الانقطاع عن الطعام والإمسك عن بعض أنواع المأكل كاللحم ومشتقات الحليب إن هو إلا واحدة من الوسائل التي تتيح لنا أن نلج مثل هذا النشاط التدريبي، وذلك لأن الجسد ليس منفصلاً عن النفس، بل هو «المكان» الذي تعبر فيه النفس عن خلجاتها وأشواقها. فإذا كانت الصلاة هي الوسيلة الأنجح حتى تنفتح هذه النفس على الله والأخوة وتصبح شفافة بلورية، فإن الانقطاع عما يتثقل من الأطعمة إنما يعين الجسد على الانخراط في جو الصلاة، الذي تكثفه لنا الكنيسة عبر خدمها الليتورجية الفذة طوال فترة الصوم، ويشركه في مسيرة اكتساب هذه البلورية التي فقدها الإنسان بالخطيئة والتي الصوم دعوة إلى الارتداد إليها والعيش في بركاتها. الانقطاع عن الأطعمة، إذاً، وسيلة لا غاية. كل الغاية ألا ينحصر الصوم في الجسد، بل أن يضحي مناسبة

حتى تهرب الوحوش البحرية المرتعدة من صوتها. كذلك فإن بحر حياتنا يغذي وحوشاً كثيرة مرعبة هي أهواننا الشريرة إلى جانب الأرواح الأشرار الراصدة لتلك الأهواء. وفي مثل هذا البحر تسيّر كنيسة الله بمثابة مركب، وبدل الأجراس لديها معلمون روحيون، نستخدم صوت تعليمهم الشريف لكي يبعد الوحوش العقلية. لعل هذا ما كان يشير إليه رداء هرون مع أجراس معلقة على طرفه، وحسب العادة كان يفترض أن يُسمع صوتها عندما كان هرون يقوم بالخدمة. ونحن إذ ننتقل من الحرف إلى الروح، نستخدم أجراساً روحية في وقت الصيام هذا وذلك لإبعاد الوحوش المهاجمة إيانا في الظاهر وفي الخفاء. في الظاهر هي شراهة البطن والسكر وما شابه، وفي الخفاء هي المجد الباطل والتكبر والخبث. هذا الصوت يبعد عنا هجمات مثل هذه الوحوش كما يحرس في الوقت نفسه الصائمين، العاكفين على الإمساك.

الصوم والشراهة متناقضان كالحياة والموت. الصوم وصية حياة تليق بالطبيعة البشرية طالما أن الله أعطاها لآدم في البدء في

لالتصاق بالآخر، ولا سيما بالأخ الأضعف، أي الفقير. ولذا، من المستعذب أن يذهب بعض الأطعمة أو بعض المال مما نوفره في الصوم إلى الفقراء. لا لتكبر عليهم بعبائنا ونستشعر الرضى عن الذات، بل لأنهم المرأة التي يطل عبرها السيد: «كنت جائعاً فأطعمتموني». الصوم سيلنا إلى الإخوة، أكلوا لحمًا أم لم يأكلوا، صاموا أم لم يصوموا.

الصوم الأربعيني المقدس

غداً نبدأ رحلة روحية تستمر خمسين يوماً هدفها لقاء المسيح القائم من بين الأموات. رحلة نروض فيها جسدنا وعقلنا وقلبنا وروحنا عبر الامتناع عما لذ وطاب من المأكّل، والاستعاضة عنها بالبسيط من الأطعمة لتتنقى أنفسنا إذ تسيطر على الشهوات التي فيها.

الصوم في الكنيسة قديم كقدمها، لا بل ان كل الشعوب القديمة التي عرفت الله والتي لم تعرفه كانت تصوم. العبرانيون صاموا وكذلك كل أهل الديانات القديمة في إيران وآسيا الصغرى والهند ومصر القديمة، وكانت لديهم مناسبات للصيام والأعياد.

الكنيسة لم تبتدع الصوم اختراعاً إذ هو متجذر في الكتاب المقدس، ولكنها نظمته تنظيمًا، وبيات كما هو معروف اليوم إمساكًا عن الطعام من العشاء إلى ظهر اليوم التالي وامتناعًا عن أكل اللحم والدجاج والسمك وكل منتوج الحيوان من اللحم والبيض والحليب ومشتقاته. هذا الإمتناع هو لتحرير الجسد والنفس من الشهوات، وتعلم السيطرة عليها لكي تنجح الروح نحو الله.

الصوم بحسب المفهوم الكتابي

يحمل عدّة معانٍ. فهو ليس وسيلة يعبر فيها الإنسان عن احتجاجة على بعض المواقف السياسية أو الاجتماعية أو ليؤكد بعض مواقفه في هذين المجالين. الصوم، في الكتاب المقدس، هو وسيلة ليفتح الإنسان نفسه على عمل الله ويعرب عن حزنه الشديد على الخطايا التي ارتكبها مؤكداً اتكاله على الله في كل أشكال حياته.

أحد أشهر الأمثلة عن الصوم في الكتاب المقدس صوم الرب يسوع لأربعين يوماً في البرية تهيئة لبدء بشارته (متى ٤: ٢)، وهذا قد سبق فصوره موسى في العهد القديم عندما صام أربعين يوماً على جبل سيناء قبل أن يأخذ الشريعة والوصايا (خر ٢٨: ٢٤). يهوشافاط «نادى بصوم في كل يهوذا» (٢ أخبار الأيام ٣٠: ٢٠) طلباً لمعونة الرب عندما جاء بنو موآب وبنو عمون لمحاربتهم. ولما أرادت كنيسة انطاكية بإلهام الروح القدس فرز برنابا وشاول (بولس) للبشارة، «صاموا حينئذ وصلوا ووضعوا عليهما الأيدي ثم أطلقوهما» (أع ١٣: ٣). الصوم يهيء الإنسان لدعوته الإلهية.

للصوم معانٍ أخرى:

+ الصوم تعبير عن الحزن: عندما قُتل شاول ويوناثان في أحد المعارك، أخذ سكان يابيش جلعاد عظامهما ودفنوهما «وصاموا سبعة أيام» (١ صموئيل ٣١: ١٣)، ولما سمع داود بموتهما مزق ثيابه مع كل رجاله «وندبوا وبكوا وصاموا حتى المساء» (٢ صموئيل ١: ١٢). وعندما علم نحميا بدمار أورشليم جلس وبكى وناح وصام وصلى أمام إله السماء (نحميا ٤: ١). إذا الصوم هو أحد أوجه الحزن الصادق خاصة عند موت الأحبة. إنه تعبير عن الأسى والغضب.

الفردوس، للحفاظ على حياته وعلى النعمة الإلهية الممنوحة من الله. إلا أن الشراهة نصيحة تقود إلى موت الجسد والنفوس. أعطيت غشاً من الشيطان لأدم عن طريق حواء للسقوط والاعتراب عن الله ونعمته الإلهية. فالله لم يخلق الموت ولا يفرح لهلاك الأحياء. من هو الإنسان الذي يريد أن يجد الحياة في الله ومن الله؟ فليهرب من الشراهة المميتة وليهرع نحو الصوم المؤله ونحو الإمساك لكي يعود فرحاً إلى الفردوس.

صام موسى على الجبل أربعين يوماً، وارتفع إلى علو الرؤيا الإلهية وتقبل من الله الألواح وعليها الوصايا الإلهية، بينما أخذ شعب العبرانيين في الأسفل يسكر فسقط في الوثنية. صنع لنفسه عجلاً مسبوكاً من ذهب على شبه الآلهة المصرية أبيذوس. ولو لم يقف موسى وسيطاً لدى الله، لما غفر الله لهم خطيئتهم (خروج ٣٢). إن التجأنا نحن إلى رحمة الله فلا نسكرن بالخمير ولا نثقلن بطوننا بالطعام مما يؤدي إلى الفساد والخلاعة كما جاء عند الرسول: لا تسكروا بالخمير الذي فيه الخلاعة بل امتلئوا بالروح» (أف ١٨:٥).

القديس غريغوريوس بالاماس

أن نعاين نور قيامته الذي لا يغرب أبداً.

محاضرات

بمناسبة الصوم المبارك تدعو رعية كنيسة القديس نيقولاوس - الأشرافية لحضور سلسلة المحاضرات التالية التي ستقام عند الساعة السابعة من مساء كل خميس من أسابيع الصوم المبارك، بعد صلاة النوم الكبرى.

+ الخميس ١٧ آذار ٢٠٠٥

«التلفزيون وتأثيره في جو العائلة المسيحية» لقدس الارشمندريت توما (بيطار)

+ الخميس ٣١ آذار ٢٠٠٥

«روحانية الكنيسة الأرثوذكسية» لقدس الارشمندريت أفرام (كرياكوس)

+ الخميس ٧ نيسان ٢٠٠٥

«هل الألم والمرض والموت والحروب والزلازل والنكبات الطبيعية تتعارض مع رحمة الله» لقدس الارشمندريت بندلاييمون (فرح)

+ الخميس ١٤ نيسان ٢٠٠٥

«أنتم ملح الأرض... أنتم نور العالم» للأُم مريم زكا

+ الخميس ٢١ نيسان ٢٠٠٥

«حبة الحنطة (كيف ينحل الإنسان العتيق ويحيا الإنسان الجديد)» لسيادة المطران يوحنا يازجي

بالامكان الإطلاع على النشرة

أسبوعياً على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb

+ الصوم صورة للتوبة: عندما قتل آخاب ملك إسرائيل نابوت أخذ كرمه، قال النبي إيليا لآخاب ان الله سوف يجلب عليه الشر ويقطع نسله. «ولمّا سَمِعَ آخَابُ هَذَا الْكَلَامَ شَقَّ ثِيَابَهُ وَجَعَلَ مِسْحاً عَلَى جَسَدِهِ وَصَامَ وَاضْطَجَعَ بِالسَّحْبِ وَمَشَى بِسُكُوتٍ» (١ ملوك ٢١:٢٧). ولما رأى الرب توبة آخاب صفح عنه (١ ملوك ٢١:٢٩). كذلك عندما مشى يونان النبي في شوارع نينوى قائلاً ان الله سيدمر نينوى بعد أربعين يوماً بسبب خطاياهم «أمن أهل نينوى باللّه ونادوا بصومٍ ولبسوا مِسْوحاً من كبريهم إلى صغيرهم... فلما رأى اللّه أعمالهم أنهم رجّعوا عن طريقهم الرديئة ندم اللّه على الشر الذي تكلم أن يصنعه بهم فلم يصنعه» (يونان ٣:٥ و ١٠).

+ الصوم تعبير عن التقوى: يعترف كاتب المزامير انه ذلل نفسه تواضعاً بالصوم تجاه شهود الزور وفاعلي الشر به: «أما أنا ففي مرضهم كان لباسي مسحاً، أدللت بالصوم نفسي. وصلاتي إلى حضني ترجع» (مز ٣٥: ١٣). وحنّة النبية التي كانت مع سمعان الشيخ في استقبال الطفل يسوع في الهيكل يقول عنها الإنجيلي لوقا: «وهي أرملة نحو أربع وثمانين سنة لا تفارق الهيكل عابدة بأصوامٍ وظليبات ليلاً ونهاراً» (لو ٢: ٣٧). كما كان تلاميذ يوحنا يصومون بداعي التقوى. إذا يصوم الإنسان بدافع تقوي للتهذيب الروحي.

غداً نبدأ صوماً خمسينياً نعلن فيه حزننا على الأيام السالفة من حياتنا التي قضيناها في الخطيئة، ونعلن توبتنا عن خطايانا واستعدادنا لأن نبدأ حياة جديدة مع يسوع المسيح. غداً نذل أنفسنا بتقوى أمام الله لا أمام الناس، ونصلي كي يغفر لنا ذنوبنا وخطايانا ويجعلنا مستحقين